

تفسير البحر المحيط

@ 87 @ التخلّف . وقيل : هم رهط عامر بن الطفيل قالوا : إنّ غزونا معك غارات إعراب طي على أهالينا ومواشينا ، فقال صلى الله عليه وسلم (: سيعني الله عنكم) وعن مجاهد : نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى . قال ابن إسحاق : نفر من غفار منهم خفاف بن إيماء ، وهذا يقتضي أنهم مؤمنون ، والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس ، لأن التقسيم يقتضي ذلك . ألا ترى إلى قوله : { وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } فلو كان الجميع كفاراً لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص ، وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم . ويحتمل أن يكونوا كفاراً كما قال قتادة ، فانقسموا إلى جاء معتمر وإلى قاعد ، واستؤنف إخبار بما يصيب الكافرين . ويكون الضمير في منهم عائداً على الإعراب ، أو يكون المعنى : سيصيب الذين يوافقون على الكفر من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل والسبي ، وفي الآخرة بالنار . وقرأ الجمهور : كذبوا بالتخفيف أي : في إيمانهم فاطهروا ضد ما أخفوه . وقرأ أبيّ والحسن في المشهور عنه : ونوح وإسماعيل كذبوا بالتشديد أي لم يصدقوه تعالى ولا رسوله ، وردوا عليه أمره والتشديد أبلغ في الذم . .

{ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرُوضَةِ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا * اللَّهُ * وَرُسُلُهُ * مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنَ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَوْا لِتَصْلَاهُمْ فُلُوتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ * عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا * وَأَعْيُنُهُمْ تَفْرِضُ مِنَ الدِّمْعِ حَزَناً } : لما ذكر حال من تخلّف عن الجهاد مع القدرة عليه ، ذكر حال من له عذر في تركه . والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ، ومن خلق في أصل البنية شديد المخافة والضّولة ، بحيث لا يمكنه الجهاد . والمريض من عرض له المرض ، أو كان زمنياً ويدخل فيه العمى والعرج . والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء . قيل : هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ، ونفى الحرج عنهم في التخلّف عن الغزو ، ونفى الحرج لا يتضمن المنع من الخروج إلى الغزو ، فلو خرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلاً عليهم ، كان له في ذلك ثواب جليل . فقد كان عمرو بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار ، وهو في أول الجيش ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (: إن الله قد عذرك) فقال : والله لأحقرن بعرجتي هذه في الجنة . وكان ابن أم مكتوم أعمى ، فخرج إلى أحد وطلب أن يعطي اللواء فأخذه ، فأصابت يده التي فيها اللواء

فأمسكه باليد الأخرى ، فضربت فأمسكه ب صدره . وقرأ : { وَ مَآ مٌ حَمَّ دٌ إ لَّا رَّ سُولٌ }
قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَيْدِهِ الرُّسُلُ { وشرط في انتفاء الحرج النصح ﷻ ورسوله ، وهو أن
يكون نياتهم وأقوالهم سراً وجهراً خالصة ﷻ من الغش ، ساعية في إيصال الخير للمؤمنين ،
داعية لهم بالنصر والتمكين . ففي سنن أبي داود (لقد تركتم بعدكم قوماً ما سرتهم مسيراً
ولا أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم وأدياً إلا هم معكم فيه) قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون
معنا وهم بالمدينة ؟ قال : (حبسهم العذر) . وقرأ أبو حيوة : إذا نصحوا ﷻ ورسوله
بنصب الجلالة ، والمعطوف ما على المحسنين من سبيل أي : من لائمة تناط بهم أو عقوبة .
ولفظ المحسنين عام يندرج فيه هؤلاء المعذورون الناصحون غيرهم ، وقيل : المحسنين هنا
المعذورون الناصحون ، ويبعد الاستدلال بهذه الجملة على نفي القياس . وإن المحسن هو
المسلم ، لانتفاء جميع السبيل ، فلا يتوجه عليه شيء من التكاليف إلا بدليل منفصل ، فيكون
يخص هذا العام الدال على براءة الذمة . وقال الكرمانى : المحسنين هم الذين أطاعوا ﷻ
ورسوله في أقوالهم ، ثم أكد الرجاء